939

مجلة إكليل للدراسات الانسانية

التصنيف الورقي: العدد 25 /آذار/2026

المجلد(7)- العدد(1)-الجزء(1) IASJ–Iraqi Academic Scientific Journals

وجوه السيرة الذاتية في كتاب من سوانح الذكريات لحمد الجاسر

م. د. وسيم عبد الأمير درويش

مديرية تربية كربلاء المقدسة

وزارة التربية

الكلمات المفتاحية: فن السيرة. نقد حديث. حمد الجاسر

الملخص:

السيرةُ الأدبية فنٌ يُبنى على عناصر كغيره من الفنون ، وفي صميم تلك العناصر : اللغة المشرقة، والخيال الباني، والبوح الصريح . وغايةُ السيرةِ بهذا المعنى أن ترينا صاحبها في مواجهة الحياة ، مصرّحاً عما اعتمل في دواخله من نوازع ، وما تكشّف من أفكار ومشاعر ومواقف .

تأتي أهمية البحث لما اجتمع في كتاب (من سوانح الذكريات لحمد الجاسر) من أمور عزيزة المطلب ، وعلى رأسها ما كان لصاحبها من : سنٍ ، ومعرفةٍ ، وأدبٍ ، ودورٍ عظيم في أحداث عصره وبلاده .

عاش حمد الجاسر ما يقرب من تسعين عاماً، ولقِّب بعلامة الجزيرة العربية . وكان هذا العمر المديد غزيراً ثرياً بالتجارب، فيه السفر والبادية والحضر وما صحبها من مشاعر السرور والكدر لقد دفعته الأقدار إلى صميم أحداث عصره مع ما تميز من شخصية متفردة قوية البناء، وأسلوب مبين في الكتابة والإنشاء .

لقد أسفر البحث عن نتائج في صميمها بيان تجربة الجاسر في هذا الكتاب ، عبر تسليط الضوء على العلاقة الوثيقة بين حركته النفسية في تموجها وتعبيره الأدبي . وقد زادنا نفعاً أحساسُ الجاسر بالذكرى القديمة الذي ظل نابضَ العرْق، ولم يحلْ محله الاعتراف البارد بالأدوار والأشواط والمكابدات والمسرات التي واجهها في محطات حياته . ولقد كان تركيز الجاسر على رقّة العاطفة حقيقةً لايمكن تجاهلها ، وكان لهذه الحقيقة أكثرَ من وجه ؛ لقد وجد فيها ضعْفاً ، مع هذا فقد كانت على علاّتها عنصراً عرف كيف ينقيه ويوجهه ويرفع من قدره وكيف يوظفه في تحريك قوته الخلاقة للإبداع .

مجلة إكليل للدراسات الانسانية
التصنيف الورقي: العدد 25 /آذار/2026
المجلد(7)-العدد(1)-الجزء(1) IASJ-Iraqi Academic Scientific Journals

المقدمة :

يُقصد أولاً بالعنوان: بيان وجوه السيرة الذاتية للمؤلف بوصفها ضرباً من ضروب الأدب ، بعد إدامة النظر في كتاب سوانح الذكريات! .. ويمكن القول : إنّ غاية البحث التقاط ما يجلو حياة المؤلف من جوانب موزعة في عموم الكتاب ، ثم ضمّها إلى نظائرها ؛ وأقصد بها : الوقائع والأحداث التي كشف بها المؤلف عن خفايا نفسه .

ويعني العنوان ثانياً : تلمس الخيط الرابط لتلك الحوادث بعيدة الأثر في نفس المؤلف ؛ لأنها من الدوافع الأصيلة للكتابة ؛ ولاشك إن الكشف عن دفائن النفس يقع في صميم كتابة السيرة الذاتية . ثم إن ذلك يقضي بالنأي عن الأخبار والأشخاص والحوادث مما ليس فيه من حياة المؤلف أو تجربته الإنسانية إلا القليل ؛ أي عندما ينقطع ذلك الخيط ، ويتنحى (حمد الجاسر) عن مركز الأحداث فاسحاً المجال أمام الأشخاص والأخبار والحوادث خارج إطار تجربته الذاتية.

ولقد اجتمعت في كتاب (من سوانح الذكريات لحمد الجاسر) أمورٌ عزيزة المطلب وأسبابٌ تتصلُ بالطبيعة الفنية للسيرة الأدبية ، وعلى رأسها ما كان لمؤلفها من : سنٍ ، ومعرفةٍ ، وأدبٍ ، ودورٍ عظيم في أحداث عصره وبلده ؛ وإلى ذلك تعود قيمة هذا البحث .

وقد نُشرت معظم مادة كتاب (من سوانح الذكريات) مجزّأة في (المجلة العربية) منذ عام 1986 وامتدت إلى عام 1996 بما يشكل في المجلة 98 حلقة، ونظراً لكثرة المطالبات بنشرها كاملة بعد وفاة صاحبها ؛ فقد ارتأت دار اليمامة بإعادة نشرها، وأوكلت مهمة الإشراف والترتيب والتنقيح لمادة الكتاب، وإعداده للنشر، للدكتور عبد الرحمن صالح الشبيلي؛ ليعتمد البحث على الطبعة الأولى الصادرة عام 2006 عن دار اليمامة التي أسسها حمد الجاسر نفسه ، وقد جاء الكتاب في هذه الطبعة على جزأين في 1152 صفحة .

وللجاسر مكانة سامقة في بلاده وما حولها ،إن إخلاصه لعلمه وأدبه وخدمته للتراث قد أكدَّ تفوقه الذاتي، ومن الطبيعي أن يكتب عنه الكثيرون وتصدر حوله مؤلفات تُعنى به وبما تركه من آثار . ومنها : حمد الجاسر دراسة لحياته مع ببليوجرافية لأعماله المنشورة في الكتب والمجلات من إعداد إدارة التكشيف والببليوجرافية الوطنية. وكتاب حمد الجاسر دراسة لحياته العلمية والعملية المختلفة لعبد الرحمن علي إبراهيم... وغيرها كثير .

ولابد أن يقوم البحث على منهج وخطة . ولقد انتهجت مسلكاً قائماً على عرض السانحة ذات الوشائج المتينة في اتصالها بأحوال الجاسر ، ثم تحليلها وكشف صداها وأثرها في نفس الجاسر وتعليل ذلك الأثر ؛ ولمّا كانت السوانح متفاوتة في قيمتها للمعنيين بفن السيرة ؛ فلابد من انتقاء

مجلة إكليل للدراسات الانسانية
التصنيف الورقي: العدد 25 /آذار/2026
المجلد(7)- العدد(1)-الجزء(1) IASJ–Iraqi Academic Scientific Journals

أوضحها اتصالاً بالجاسر، وقد نوّهت عن ذلك آنفاً. وقد استقر الرأي على خطة وضعت في مقدمتها ما أريد درسه وإيضاحه، فضلاً عن تمهيد بيّنت فيه دلالة فن السيرة وشيئاً من حياة الجاسر وعصره ، ومبحثين يؤديان إلى نتائج تتوفر على مابين سوانح الذكريات وفن السيرة من وشائج أظهرها البحث عملياً ، وأبان عنها متخذاً من حياة حمد الجاسر ميداناً لذلك .

التمهيد

السيرة الذاتية فنٌ أدبي، يكشف صاحب السيرة من خلاله عن بواطنه ما أمكنه الكشف، ووافق طبيعته، وجرى مع ميوله . ويقع في صميم هذا الفن ، عرض الوقائع بملابساته والبوح عن المكنون مع تغليب الصدق والصراحة . وغاية السيرة أن تصور لنا صاحبها في مواجهة الحياة ، مع أسلوبِ أدبي أخاذ ، ولغة عالية ، وبيان مشرق ، وخيال يؤلف بين العناصر المختلفة والمؤتلفة، كالحوادث والشخصيات والأزمنة والأمكنة . السيرة بهذا المعنى فن غربي ، يجد فيه القارئ توهجاً لفضيلة (الاعتراف) وضميراً يريد أن يتخفف من أوزاره ، وإعلاءً (للذات الفردانية) في تشابكها مع عصرها . (عدنان، 2024) أما صلة حمد الجاسر بهذا الفن فتدقُّ حتى تستحيل العلاقة إلى وهم ...! فهو منها متسلحٌ بتراثه العربي الأصيل بحيث لا يكاد يقوم بينهما سبب ، أو تقع مناسبة ، لكن باب القول يقتضي الحديث عن حمد الجاسر نفسه قبل الحكم بذلك .

ولد حمد بن محمد بن جاسر في قرية البرود من إقليم السر في نحو 1907 على وجه التقريب في منطقة نجد ، من أب فقير فلاح وله ثلاثة إخوان جاسر ورشود وعلي . (الوطنية، 2005، صفحة 9) نشأ في حداثته صبياً عليلاً يلح به الوجع ، فيلزمه مكانه أياماً ؛ فغدا ناحل الهيئة ، وأوشك اليأس أن يحل قلب أهله ، بأن لا رجاء في شفائه، وإن ما يعتريه من لوعة في إثر لوعة كفيلٌ بإسقاطه، وتهيأ أهله لوداعه في أكثر من مرة ، وحُفر القبر له أربع مرات ، وكل ذلك ولما يتم الرابعة من عمره (ابراهيم، 2001، صفحة 40) .

لكن قوة داخلية فيه وصلابة في تكوينه ، أبت عليه أن يقع فريسة للسقام وكأننا بعود غض في مستنبت صخري صعب التكوين ويأبى العود إلا أن يورق في وجه الحياة . وسنلمس في مدار البحث أثر ذلك التكوين وتلك النشأة الأولى في بنائه النفسي ؛ فلطالما فزع إلى نفسه إذا مر أمرٌ فدحهُ ، وسائل ضميره في تقلبات الحياة وتشدد المواقف . وهو في كل ذلك مستقيم هادئ رزين .

انصرف مبكراً إلى (كتّاب القرية) وهناك تعلم القراءة وحفظ القرآن. وظهرت عليه مخايل الفطنة والذكاء ، وزاد في الحدة والصقل والصفاء ، انصرافه التام - متحللاً من قيود الزراعة والعناية بالأرض - لتعلم القراءة والكتابة وأوليات العلوم المتاحة في كتّاب قريته والمعروفة في زمانه

. (ابراهيم، 2001، صفحة 40) وكان من لوازم طلب العلم الذي شمل القرآن الكريم وتفسيره والحديث النبوي وعلم الكلام وأصول الدين : إحكام العربية والوقوف على أسرارها وتأدية المعنى مع معرفة مرامي الألفاظ وظلال المعاني ، والنظر إلى النماذج العليا في توهجها وبيانها . وقد استثمر الجاسر ما وهِب له من هبات خير استثمار ؛ فقد منحته العربية أسلوباً مؤاتياً في التعبير ، يقع في منزلة عُليا ، أو هي أقرب إلى الطريقة الرفيعة التي عبّر فيها أسلافه العرب القدماء عن مختلف المرامي والرغبات ، مع أخذه باللفظ الأقرب للعصر والتركيب القريب للفهم والإدراك ما أمكنه ذلك . .. وسنرى كيف دفعته المقادير إلى صميم أحداث عصره ؛ فغدا عنصراً فاعلاً فيها ، مع التأكيد على أن ما قدمه من أعمال منصرفاً لها انصرافاً ذاتياً هي ما دفعته إلى مركز الحدث ،ولقد كانت منطقة نجد منذ عام 1901 مسرحاً للحرب والنزاعات بين الملك عبد العزيز آل سعود وبين آل رشيد حكام مدينة حائل .. وانتهت بانتصار الملك عبد العزيز آل سعود .. وكان الطابع القبلي هو الطابع السائد مع ضعف وسائل الإنتاج وبدائيتها، وتنازع الإمارات الصغيرة المتفرقة ، وتميزت تلك الحقبة بضعف الحركة العلمية وانعدام التعليم بمعناه الحديث (ابراهيم، 2001، صفحة 16 . 28 . 29) . وكان السعي آنذاك هو سعي الملك إلى توحيد المملكة وبسط السيطرة على مراميها ووأد الفتن والنعرات ، فضلاً عن تحسين سبل العيش .. وفي خضم تلك الأجواء ، جعل حمد الجاسر يتلمس دربه الشائك ، ولابد لمن يفعل ذلك أن يتميز بشخصية متفردة تقاوم الظروف وتخترق الصعاب. ويعد (الرأي) القائل بتعاظم صاحب السيرة وتأثيره في زمانه من الوجاهة بمكان ! ولعله من المقاييس الأكثر رجاحة ؛ لأن أبرز مافي السيرة " هو العمل الكبير الذي قام به صاحبها والأثر الفعال الذي تركه بعمله في الحياة الإنسانية . وبقدر ما يعظم هذا العمل ويعظم تأثيره بقدر ما يحفل به التاريخ فيقص خبره ويروي سيرة صاحبه ." (النجار، 1964، صفحة 62)

المبحث الأول : وجوه من سيرة الطفولة والشباب

نشأ الجاسر وقد حُرِم حنان الأم ، ذاك السياج الحامي ، ودُفع إلى نساء غريبات عنه ليتعهدن تربيته بكل ما لديهن من وسائل تخويف سيأتي ذكرها . كان هذا ماضيه النفسي الذي لامهرب منه ، ثم تعهدته الأدواء حتى اختبر الموت غير مرة ، وكان جسمه الناحل المُوَشّى بآثار الكَي ، شاهداً على صراعه المبكر مع الحياة والموت . وليس غريباً أن تستبد به المخاوف فيما بعد ، ويكون نهباً للظنون ضعيفاً وعاجزاً عن تحقيق مايمكن أن يُشار إليه بالجدارة والاحترام (ابراهيم

ز.، د . ت، صفحة 135)، أي أن يكون نسياً منسياً ، لكن الغريب كل الغرابة أن يشق دربه خلاف كل التكهنات ، وسنرى كيف أيقظ تراثه في روحه بنحو خفي مشاعل الإرادة والعزم والمضاء .

جاء عنوان السانحة (أسوأ يوم شهدته) (الجاسر، 2006، صفحة 249/ج1) تتويجاً لأحداث ذلك اليوم وملخصه ماجرى لأهل بعض العرب من (عروا) من قصاص تأديباً لهم ، بعد أن نشروا الخوف ، وقطعوا السُبل ، ونهبوا قوافل السيارات ، وأحدثوا بلبلة واضطراباً في نواحي أخرى من البلاد .

كان ذلك في عام 1929 ، والجاسر في شطر شبابه الأول في حدود العشرين ، وقد دفعه هول ذلك اليوم شديد الوقعة إلى الإفصاح ، فتحدث بلهجة الكاشف عن نفسه قائلاً : " لا أكتم القارئ أن من أبرز صفاتي المزرية رقة العاطفة بدرجة تبلغ حدَّ الهلع والارتياع مما أشاهده من الحوادث المثيرة للأسى ، ولو مع من لا أكره له ما أُصيب به ، ومع هذا فأنا طُلعةٌ قد أدس أنفي فيما لايعنيني ، وقد يدفعني الفضول وحب الاستطلاع إلى ارتكاب ماينبغي لمثلي الترفع عنه . " (الجاسر، 2006، صفحة ج1 / 249) وقد جرى لسان الجاسر بما جال بخاطره ، ولم يخفف من أثر العواطف التي خالجته ، ومن عرف الجاسر عن قرب ، في ميسوره الاهتداء إلى أن رقّة العاطفة لديه إيجاب متولّد من طبيعته نفسها ، ومن كونها صورة لحقيقته الذاتية . وكان من دأبه أن يدسّ نفسه في مناحي الحياة ومراجعة ضميره في كل حين .. حتى عندما لا تستدعي مسألة ما كل ذلك . إن الصغائر من المعايب والذنوب تخرجه عن صمته ، ويعود إلى ضميره يحاوره : حاكماً ، وشاهداً ، ومسؤولاً .

ويطالعنا في حادثة هذا اليوم (جهجاه) ، وهو كبير منطقة عروا الذي ضيّف الجاسر ونصحه بعدم الذهاب ورؤية مشاهد الخفر والمحاسبة . وكان الجاسر حافظاً في نفسه لجهجاه تقديراً ، وبه إعجاباً ؛ لرقة طبعه وسماحة نفسه ، واستصفاء خير ما يمكن استصفائه من طباع البادية، نحو : صفاء النفس والبساطة ، والبعد من الضغينة والأحقاد وانبساط الأسارير . (الجاسر، 2006، صفحة 235/ج1) ووافق أن شهِد الجاسر ذلك المشهد ، على الرغم من النصح ..! فكان الحزن .. وكان الشجن .. ولكنه ما كان ليدع حدثاً يمر من دون أن يتيح لعقله أن يتدبر ، فيوازن ويحلل ، ويحاكم ليصل إلى قرار مقنع . وقد وصف ذلك المشهد قائلاً : " وها أنا أشاهد أذواد الإبل (تُسرب) أمام الرجل ، وقد حداها الظمأ لتقبل مسرعة على حياض الماء ، وقد اشتدت الجلبة والضوضاء ، وارتفع العويل والصراخ من كل جانب ، فاختلط بكاء الأطفال بنحيب النسوة والعجائز ، وترديدهن كلمات (الويل) و (شق الجيب) عما يستدر الرحمة والشفقة من أقسى

مجلة إكليل للدراسات الانسانية
التصنيف الورقي: العدد 25 /آذار/2026
المجلد(7)-العدد(1)-الجزء(1) IASJ-Iraqi Academic Scientific Journals

القلوب (...) أما كلمات الاستغاثة والاستعطاف ، ومحاولة إثبات عدم المشاركة في العصيان بأية وسيلة كانت ، فكلها لاتقابل إلا بالانهيال على أصحابها بالطرد والإقصاء ، وعوذا بك اللهم من قهر الرجال !!" (الجاسر، 2006، صفحة 235/ج1) .

لاشك أن الأخلاقيات المقررة وحدودها الحارقة في تنفيذ الأحكام ، لم يتهيأ لها إنصاف مظالم الناس ، أو النظر في دوافعهم ؛ لأنها وببساطة لم ترقَ على الواقع رغبة في عالم أكثر عدلاً وإنصافا، وشأنها هو شأن المُثل الفكرية المتأثرة في مناطق منبتها ، وكانت بلاريب ذات طابع يغلب عليه البداوة ! وفي مقابل ذلك ألقى الانفعال المكتوم ظلاله على حمد الجاسر ذي النزعة الحضرية ، واستولت عليه حالة من الأسى مطلاً على الهوة التي تردى فيها أولئك الناس وقت حسابهم. تأمّل الجاسر الحادثة ، فرأى إن كل شيء يسير على الضد من تكوينه العاطفي ، فكان لابد أن يهبها جواً فاجعاً بأن يرخي العنان لشعوره ، تاركاً مشاعره النفسية تسجل موقفها إزاء محنة الرجال والنساء والأطفال . ومع تعدد الأوضاع وتناقض العلاقات بين الحضر والبادية ، وقيام مجتمع ناشئ ، بسيط التنظيم ، يتعارض فيه الواقع وأمنيات النفس ، يطلُّ الجاسر على عالمه المتشابك ، ويظهر صوته الداخلي بأن شقاء هؤلاء الناس يتوقف على رد ذلك التمني : لو توفرت لهم حاجتهم ، ماأغاروا ، ولا نهبوا ماليس لهم . يقرأ القارئ السانحة فتتغلغل داخل نفسه ما شُحنت به من معاني حزينة ؛ لقد كان الجاسر ممتحناً في عواطفه ، مصدوراً ، مدفوعاً إلى ما يهز العاطفة ويحرج الوجدان ، ولاشك إن " تأثير الأدب إنما يقوم على هذه الناحية الوجدانية". (أحمد، 1947، صفحة 39) و مع ذلك فإن الجاسر وهو في قمة امتعاضه لم يُحقَّر ذلك الجانب من مجتمعه ، ولم يحاول الفرار منه ، بل كان مندفعاً في الحياة . نعم ، كان راغباً وإن لم يبح جهراً لبلاده بنظام أكثر وضوحاً وعدالة ، وكان ما حوله قابلاً للتغير ، وكان عليه الانتظار ليتحقق ذلك .

(وماذا بعد غزوة الدبدبة) تتولد عاطفة الجاسر في هذه السانحة من ذكرى حياة سالفة بعيدة ممتدة إلى سنواته الأولى ، يقول فيها بعد أن تزاحمت في مخيلته كل الذكريات المؤلمة واصفاً مطالع نشأته الأولى: " وما كنت بالمرفه الناعم الجسم في أول نشأتي ، ولكن إحساسي المرهف كان شديد التأثر بما جرى لي أيام الطفولة ، وما اعتدت سماعه من النسوة اللاتي يقمن بتربيتي من كلمات التخويف والترهيب ، مثل (السعلو) و(أهل بسم الله) و (الشيفة) وعما يخبّئه الظلام من الأرواح الشريرة ، حتى أصبح الإحساس بذلك العدو الخفي للإنسان عقيدة راسخة في ذهني ، فأصبحت خرع الفؤاد ، كثير الخوف ، يطغى علي سوء الظن . بعض الأحيان . حتى أتصور الأمر

خلاف ماهو عليه ، لا أدري لماذا جرى القلم بهذه الخاطرة ، وقد يكون لذكرها مناسبة فيما بعد" . (الجاسر، 2006، صفحة 126/ج1) وإذا ينتهي الجاسر من رواية تلك الذكرى البعيدة ، يكون قد كشف عن الطبقة الأولى ، الطبقة المغمورة من حياة كل إنسان ، وإذا التفت إلى ماضيه رأى نفسه أنه كان محاطاً بالخوف ..! لكنه الآن قوي .. وماهو خائف أو مذعور ؛ فما عاد أحدٌ يخيفه، وماعادت تلك الأشياء ترهبه . لكن لِمَ لمْ يدر الآن لماذا كان مدفوعاً إلى ذلك الزمن ؟ إلى زمنه وهو طفل تحديداً ؟ ولمَ عاودته الذكرى ؟ لابد من أن يكون للمخاوف القديمة مناسبة جديدة تستدعيها وتبرر لها المعاودة ! وبحسب منطق علم النفس وتحليلاته: إن الإنسان لايجرُّ الماضي إلى الحاضر اعتباطاً ، ولايكشفُ طيات حياته الأولى عبثاً ، وإن الكلمات بوسعها أن تخفف مافي قلب الإنسان وتريحه ولو قليلاً . (سكوت، 1981، صفحة 78). غير أن الدافعَ حاضرٌ وله من القوة بمكان ؛ حتى وإن لم يُتح للجاسر الإعراب عنه . لقد كان مشهد القتل هو المسؤول .. ! ولابد من أن يكون قد أخذ دوره التام في تجسيم تلك المخاوف القديمة وما تبعها من إحساس بالمظالم . لم يكن الجاسر خائفاً لكنه كان مجروحاً في إنسانيته ، إلى الحدِّ الذي أخرجه عن صمته، وأباح عن المسكوت عنه . وهنا يعجب الجاسر من سطوة مشاعر الحزن ..! " ولا أدري لماذا تختزن ذاكرتي كثيراً من الجمل التي اعتاد المتشائمون في نظرتهم إلى الحياة ترديدها ، وقد يكون هذا من جراء ما قاسيته صغيراً من آلام المرض واليتم والفاقة ." (الجاسر، 2006، صفحة 263/ج1) .

من الواضح للقارئ إنّ ذكرى أيامه الأولى قد أطبقت عليه أغلالاً ، واستقرت في روحه بعيداً ، وعبئاً حاول الإفلات من تلك اللحظات الحرجة من تاريخه ؛ فكان أن القت بظلالها الشاحب على نفسه كلما صادفته حادثة ما ، ولم يُضعِف من تأثيرها مدى مابلغ من عمر . وبلا شك إن ذات الجاسر لاتختلف عن أي" ذات تجمعت لديها خلال مسيرة حياتها مشاعر لم تستطع أن تجد وسيلة لتوظيفها في صورة عملية ، وهذه المشاعر تلتف حول الروح وتضغط عليها ... ". (موروا، فن التراجم والسير الذاتية ، 1999، صفحة 79) ويصف الجاسر مشهد القتل قائلاً : " لقد كان من أبشع ما شاهدته أثناء تتبع فلول البدو مشهد ذلك البدوي الذي حاول الالتجاء داخل إحدى الخيام من القتل ، متوسلاً بأرق عبارات التذلل والخضوع ، ولكن ذلك لم يحل دون سحبه من الخيمة وإفراغ عدد من الرصاصات في رأسه ليسقط جثة هامدة ، تواري في حفرة حيث سقطت . إنني أكره الشر أياً كان ، وممن كان ، ومع من كان بصرف النظر عن أسبابه

وبواعثه " (الجاسر، 2006، صفحة 263/ج1)لاشك إن الحياة في تلك الأجواء مؤلمة وقاسية وقصيرة لكثير من الناس.

طوّف الجاسر في الجزيرة شرقاً وغرباً (الجاسر، 1980، صفحة 6.5) ، وفي أثناء ذلك تعلم أكبر درس إنساني يمكن أن يتعلمه إنسان ؛ فقد كان يشهد مظاهر الأخوة الصادقة والمودة بين الأصحاب وكل ما يتصل بالخلق البدوي من صفات كريمة، ثم يشهد مظاهر تناقضها في العنف والقسوة وضياع كرامة الإنسان . ولو استطاع أن يناضل ضد كل هذا الشر، لفعل ؛ لكنه فاقد للرأي والفعل ، غير مطاع ، مُشاهد لا أقل ولا أكثر، إن وقتاً طويلاً يجب أن يمر حتى يملك الجاسر صوته . ولهذه الحقيقة أكثر من وجه ، لعل أكثرها وضوحاً ؛ القلق العاطفي والتبرم بالذات المرهفة . وأحسب إنها من أدلّ الدوافع الكاشفة عن نفسه . ولنا أن نقف على حديثه الآنف ، لنستدلْ على ذلك : " ولعل هذا يرجع إلى أنني مرهف الحس فوق ما يتصف به ذو الطبع السليم ، ولكن هكذا كنت ، ولك أن تصف ما انتابني من التأثر بذلك المشهد خوراً وضعفاً ، ولكن ليس لك أن تتجاوز ذلك فتصمني بحب الفتنة أو مثيريها فتظلمني ." (الجاسر، من سوانح الذكريات، 2006، صفحة 263/ج1) . أشار الجاسر إلى ما نُشّئ عليه من مخاوف قديمة ونحوها ، وكان ذلك بلاشك جزءاً من تاريخ طفولته ، وبدل أن يُفضي الخوف إلى إرهاق مؤذٍ وضعف في البناء ، يولّد تحرزاً ومناعةً وشكاً وعاطفة لها من الإيجاب مما لايحجب عليه حجاب .

وبذلك يمكن أن يُعلل قبول الجاسر أن تنسب إليه صفات من قبيل الضعف ونحوه ؛ لأنها تتصل برهافة الحس ، والسائد أنها ليست عيباً وانتقاصاً ، كما أنها لاتطل بصاحبها على الآخرين مزرية به كل حين ، ومن الممكن عدّها تعبيراً عن آمال الضمير الحي الملتاع وآماله . أما ما لا يقبله من كل مستقص للعيوب (الفتنة) فإنها الظلم الحقيقي له ، وإنها أبشع الخلال وأشنع الصفات

ليس هناك موضوع من الموضوعات التي تمس روح الإنسان مساً عميقاً أكثر من فقد الأهل . ويبدو أنّ الجاسر الذي اختبر الموت أكثر من مرة في صغره قد أمض به فقد والدته ، وقبل العشرين فقد والده وفي هذا السانحة يتهيأ لفقد أخيه الأكبر . وقد مضى الجاسر في تعليل عنوان السانحة (عيد تعوزه البهجة) قائلاً : " لقد حلَّ العيد بعد الأوبة من رحلة مضنية ، زادها مضضاً وإرهاقاً ما تخللها من هموم التطلع إلى ماذا سينتهي سير هذا الفتى الحائر في دروب حياته المظلمة ! هاهو بعد أن عاد من تلك الرحلة في غاية الترقب لما انتهى إليه أمر أكبر إخوته ، بشأن ما عرض عليه من قيام الإخوة . متشاركين مع أمير هذه الهجرة . بعمل يتوخون من القيام به انتشالهم مما هم غارقون فيه من فاقة وبؤس ، وفرقة وتمزق شمل ، منذ انحل عقد التئامهم

بعجز أبيهم قبل بضع سنوات ، عن الاشتغال بأي عمل من أعمال الحياة التي كان يشارك فيها أهل قريته ، مما يتيح له ولأسرته كفافاً ، من أضيق طرقه وأشقها وأقساها ، حتى أنهكه السعي فخارت قواه ، وأذواه المرض فسقط جثة نخرتها الأدواء ، بعيد عن قريته التي عاش فيها غريباً عن أبنائه المشتتين غرب البلاد وشرقها ، وشمالها وجنوبها" (الجاسر، من سوانح الذكريات، 2006، صفحة 265/ج1) . كُتبت هذه الذكرى تحت سطوة مشاعر قوية ، لاشك أنّ الجاسر كان مفرّق الفؤاد ؛ فطلّت علينا لغته بأسلوبها الحافل بالعبارات المتقابلة والأوصاف المترادفة المتناغمة المشحونة بمعاني الحزن ، وها هو يحرر هذه الذكرى وقد سما بمتن لغته ذات الصبغة التراثية إلى أوجِه ؛ إذ لا يمكن للقارئ تجاهل أسلوبه الذي كان قطعة منه ، وساعد الاستشهاد بأبيات من الشعر على دنو تلك العواطف الدقيقة المضطربة إلى قلب القارئ، ومع دلالتها النفسية ، اتسعت دائرة المعنى وأخذت تقوى وتشتد ، وأمكن أن تقود إلى تعميم اجتماعي عميق؛ حتى يُخيل للقارئ أنّ صوت الجاسر هنا هو صوت منبعث من أبد الآبدين ، صوت الألاف من الذين فقدوا أهلهم ، وابتعدوا مرغمين عن بلاد أحبوها وألفوا إليها . ومن الأبيات بيت للشريف الرضي : **وَتَلَفَّتَت عَيني فَمُذ خَفِيَت عَنها الطُلولُ تَلَفَّتَ القَلبُ**

والبيت مشهور، دائر على الألسن، لكن الجاسر قد تلبّس معناه تلبساً تاماً ؛نعم، لم يكن الجاسر منفياً عن (عروا) قسراً لكنه راحل عنها، ولن يكون الأخير في رحلته عن المنطقة التي تعلقت روحه بها .

كان الجاسر مدفوعاً بحكم ما يحمله في ثناياه من حنان إلى تحمل الأعباء والثبات في المحن وعدم التراجع أمام المسؤولية ، حتى عُدَّ ذلك نزوعاً طبيعياً لديه . مما حدا به العودة إلى قريته (البرود) بناءً على طلب أخيه ، وكان ذلك في آذار عام 1930 . وألقى اجتماع الأخوين ظلاله الحزينة عليهما ، ولنا أن نتصور كم كان كيان الجاسر مشدوداً إلى توسلات أخيه اليائس من الشفاء بالعودة ، وكانت النتيجة الوحيدة لحالة كهذه أو الوسيلة الوحيدة لاحتمال قسوة ذلك الوضع ، هو الإفصاح عن المشاعر المتولدة عنها ولو بعد حين !.. يقول الجاسر : " لم أتمالك نفسي فشاركته البكاء، بل أحسست كأن قلبي يتمزق حين ارتفع نشيجه ، إنه في حالة تستدعي ذلك ، وأنا ذو عاطفة تطغى عليّ رقتها في كثير من الأحيان ، بحيث تخنقني العبرة بمجرد سماع صوت مثر من قارئ ، أو من خطيب ، أو حين أشاهد منظراً محزنا مرسوماً في ورق ، فضلاً عن أن يكون لذي روح ، ولو حشرة من التي اعتاد الناس قتلها." (الجاسر، من سوانح الذكريات، 2006، صفحة 266/ج1) . لقد أفضت قسوة المواقف إلى إخراج ما استقر في الأعماق ، وكان نصيب

العاطفة منها جديراً بتأمل القارئ ..! لقد نُسجت عاطفة الجاسر من طبيعة نشأته المعروفة لنا، ومن محيط يغلب عليه الأسى ؛ فلاغرابة أن تمتاز بالرهافة ؛ فقد وافقت طبعاً مؤاتياً . وكان التعبير عنها الآن ، من دون رغبة لدر الاستعطاف أو السخط أو الشعور الممض بالخسارة، ويبدو أنها كانت تظهر عند تلك الوقفات مع النفس، مع هذا فإنها لم تأت عفو الخاطر ، ويبدو أنها خضعت لمراقبة الضمير ولمدة طويلة من الزمن ، وكانت الحاجة لإظهارها قائمة على الدوام . إن هذا الاعتراف الروحي الجريء هو نوع من أنواع الإلحاح على إظهار صفة مطوية يجاهد كثير من الناس من أجل إخفائها ؛ لكن الجاسر ألزم نفسه الصراحة والأمانة ، ولعل الأجدر بنا أن لا نرى في هذا التأكيد وإطالة الوقوف عند هذا الموضع من نفسه إلا تعبيراً عن ذلك الصدق وتلك الأمانة ، ويذكر مرة أخرى متحدثاً عن عاطفته : " ولكن رهافة هذا الإحساس ورقة هذا الشعور لا يبدوان لي إلا في المواقف المحزنة ، فلا يمكناني من استجلاء مظاهر الجمال ، وإدراك مميزاته المؤثرة في العواطف، قد استطيب روائح الأزهار العطرة ، وأستلذ بمشاهدة تناسق ألونها ، ولكني لا أدرك ميزات بعضها عن بعض ، فضلاً عن استشفاف سمات الجمال الطبيعي في مختلف مباهج الطبيعة ، وقد يعود هذا إلى ضحالة روافد المعرفة المنمية للمشاعر العميقة ، التي لم تقم أساساً على اتساق من التفكير المركز ، أو على نظام في التحصيل الدراسي، ولكنها لا تعدو أنماطا من أفكار مبعثرة ومعلومات مبسترة ، اختزنتها الذاكرة ، دون استعمال روية أو إعمال جهد علمي لصقلها ، ولإحداث احتكاك ذهني عميق في الدراسة والبحث لتمنيتها . " (الجاسر، من سوانح الذكريات، 2006، صفحة 267/ج1)

إن دور الاستدراك هنا يحول عن كل ما يمكن أن يُرد إلى شبهة تُفضي إلى ادعاء ! لقد كره الجاسر الادعاء كرهاً عجيباً ، وتحاشى المجد الزائف ، وكان مكافحاً لأحاسيس الفخر . كان التواضع نابعاً من أعماقه ولم يكن بحاجة لتبرير فكرة التواضع إلا مرة واحدة قائلاً : إن الإنسان مفارق لعالم المظاهر دون رجعة ، وكان مورد تبريره مورداً أخلاقياً إسلامياً بشكل واضح.

هل يحمل الاستدراك معنى آخر ؟ هل هو وسيلة للدفاع عن ذائقة لم ترض صاحبها ، ولم ترقَ يوماً إلى تمييز جياد الأشياء الفنية عن غيرها ؟ يخشى القارئ إن الإزراء بقيمة العاطفة قد يحمله بعيداً عن الهدف ؛ فتفقد هذه الحاسة المهمة قيمتها لدى صاحبها ولديه . لكن سرعان ما تتحول الخشية إلى عارض يزول بزوال أسبابه . ويكون على القارئ العليم بمزايا الجاسر الدخول طرفاً في المحاجة .نعم، إن عاطفتك غير مبرأة من النقص، أو ربما كانت العلة في ذلك إنك ارتدت ميداناً (نقد الرسم والتشكيل اللوني) لم تكن من رواده الأصلاء . لكن ماذا تقول في اختياراتك

اللغوية ؟ ألم يكن للعاطفة دورُ فيها ؟ ألم تبدع آثاراً خلعت عليها الائتلاف من لفظ ومعنى وكنت من وطادة العربية بحيث لايخشى عليك عجمة الفهم والتفكير ؛ فقد صقلت موهبته (العربية) بفنونها وجمالها وطلّ من خلالها على العالم .

عندما يتحدث الجاسر عن نفسه واصفاً أيام طفولته وصباه يظهر لنا متعباً محروماً من العيش الهانئ ، وطالما بدا محزوناً ملتاعاً لائذاً بنفسه . وعندما يصف لنا ذلك ، يضبط الدفق الغزير الذي يجيده تمام الإجادة عند الاسترسال في رواية الأحداث والمواقف والشخصيات ووصف الأمكنة ، متحولاً إلى نوع خاص من الحديث ، وعن طريق هذا الانقلاب الذي يكون فيه الحديث الأول مريحاً له ، يكون في النمط الثاني تحت طائلة ضغط تلك الذكريات ؛ لأنه " يضع ذاته هو موضع الاختبار " (شرف، 1992، صفحة 16) ، حتى نشعر بأن الجاسر لايترك قلمه على سجيته تماماً ، بل يهب كل قطعة مختارة وردت على ذاكرته عمقاً يناسب شعوره وإحساسه وقتذاك ، وهكذا يراه القارئ والشواهد تعينه في كل مرة على تلمس تلك الظاهرة البارزة ، ولنا أن نتلمس ذلك في كل وقفة مضى فيها بعيداً كاشفاً عن نواحي من حياته الخاصة ؛ والوقفات كثيرة ، ومنها وقفته متأملاً شطرا طويلاً من حياته ، وقد لازمته الفاقة وعسر اليد ؛ فيُنشئ عنواناً (للفاقة أثرها في حياة الفتى) وربما تساءل عن العدالة في كل ما أصابه من عناء ، خاصة بعدما اضطره الحال لبيع أثر عزيز على قلبه ، لكنه سرعان ما ينبذ هذا الخاطر بكل قواه قائلاً بلهجة فيها كثير من الرضى والإيمان بالقضاء: " لم آس . فيما بعد . مما عانيته من شدة وبؤس وفقر تلك الأيام ، بعد أن أدركت عمق أثره الحسن فيما استقبلته من حياتي ، بل لعلي لا أجانف الصواب حين أقرر بأنه قد أتضح لي من جراء ما حدث . فيما بعد . أن مايعتري الإنسان من المكاره والنكبات في هذه الحياة . وان كان شراُ كله . إلا أن المصاب به قد لايعدم فيه ما يقوم سيره نحو الوجهة التي أعد للاتجاه نحوها بما ركب في طباعه وميوله ، واستعداده الفطري ، من خصائص ، ولعله بدون ما اعتراه من الشدائد يتعثر في سيره فيضل قصده حين يحاول تطلب ما لم يهيأ لإدراكه ، ويتطلع لنيل ماليس في مقدوره نيله ، من رغبات هذه الحياة ، ورسم طريق مستقبله فيها " (الجاسر، من سوانح الذكريات، 2006، صفحة 419/ج1) والسؤال هو ، إلى أي مدى يمكن أن يصل إنسان نشأ في بداية عهده فرداً عليلاً معوزاً محاطاً بالأسى ؟ وقبلي تساءل علي جواد الطاهر ورأى : " إنما الفضل ، كل الفضل ، للجاسر نفسه ... بالصبر الطويل والدأب المتصل ؛ هو بالبحث والتنقيب ؛ وهو استغلال الثروات الفطرية الكائنة فيه ، هو بالصبر والدأب في شوق وارتياح وحب وأنس وبلهنية ونشوة ." (الطاهر، 1987، صفحة 163)

المبحث الثاني : **وجوه من سيرة الجاسر في التعليم والقضاء وإنشاء المجلة .**

مع التعليم : حظى الجاسر بشيء من الاستقرار عندما امتهن التعليم ، والتعليم فن " وهو فن محفوف بالصعاب ، ويتطلب تجربة طويلة " (موروا، فن الحياة، 1979، صفحة 179). ولقد زُجَّ الجاسر في المجال من دون أن يتهيأ له ؛ إذ كان تخصصه (القضاء الشرعي) في المعهد الإسلامي السعودي الذي التحق به عام 1930 ، ولم يكن المتخرج في هذا القسم ليُعين في وظيفة التعليم (الجاسر، من سوانح الذكريات، 2006، صفحة 309/ج1)؛ لكن شاءت الصدف ..! وكان ذلك في مدرسة ينبع عام 1935. قال الجاسر : " لقد كانت بواكير العمل الأولى بواعث اطمئنان ، أوحت في نفس صاحبنا بعض الثقة ، ولكنه وقد حظي مع ذلك بما ناله من تقدير يطمح أن يزداد عن جدارة ، في أهم جانب من جوانب عمله ، وهو نجاحه فيه ، حيث تراوده نفسه بأن يكون الأساس الذي يصلح أن يبني مستقبله وأولى تلك الجوانب في نظره نجاحه بمهنة التدريس التي اضُطر لامتهانها دون أن يكون متدرعاً بأية وسيلة من وسائل معاناتها " . (الجاسر، من سوانح الذكريات، 2006، صفحة 458/ج1)

والتعليم عمل بلا شك ، ومن المؤكد " إن العمل جزء لا يتجزأ من صميم تجربة الحياة (...) وكثيراً ما انطوى على عناصر من قبيل: الفكر و الخبرات الوجودية" (ابراهيم ز.، صفحة 17) إلى جنب مايثير من مشاعر ، ويكشف من انفعالات . وينال هذا المجال عناية دارس السيرة ؛ لأنه الفرع المهم من الخبرة الإنسانية ويكشف لنا بعداً مهماً من أبعاد الشخصية في حالة من حالات التفاعل مع محيطها . ونسأل عن موقف الجاسر من التعليم في صباه ، ونحن نعلم بأنه يقوم في جملته على موارد متصلة بالتراث وطرائق تقوم على التحفيظ وغيرها.. يقول الجاسر عن دراسته: " لم تكن تختلف كثيراً عن طريقة تلقي العلم في حلقات المشايخ ، المتوارثة منذ مئات السنين، حيث يحفظ الطالب الدرس عن ظهر قلب ، في أي علم من العلوم ، ثم يسمعه شيخه مع زملائه، فيتولى الشيخ شرحه من كتاب مخصص لذلك ، مما حفظه بكثرة التكرار ، مردداً عباراته بدون زيادة أو نقصان ، حتى في نصوص ما يوجه من أسئلة أو تمارين ليدرك مدى فهم كل طالب أو قدر تحصيله ، فتلك الأسئلة والتمارين لاتخرج عما حوته كتب الشروح والحواشي القديمة ." (الجاسر، من سوانح الذكريات، 2006، صفحة 309/ ج1)، وتُعزى أهم استجابة نفسية أدركتها ذاكرة الجاسر عن التعليم وسجلتها بتفاصيل دقيقة ، إلى السنوات التي قضاها في المعهد الإسلامي ، وهنا تفترق انطباعاته عن المرحلة السابقة لها ، وإذا بدأ الجاسر برواية أطراف من عهود التعليم آنذاك وأوصاف المعلمين والمتعلمين وجدناه يقف عند المعلمين مميزاً بعضهم

من بعض . وحسبنا اجتزاء بضعة أقوال . كراهة للإطالة . فيمن شهده من معلمين وأساتذة ؛ فقد تطول وقفته عند أحدهم ، ويطنب عند الآخر ، يقول : " إن تأثري بمشايخ القسم الذي أدرس فيه كان أقوى لعمق الصلة بهم ، فجلهم ممن عرفتهم قبل الدراسة، ثم قويت تلك المعرفة أثناءها، كالشيخ محمد بن علي البيز . من الشقراء . والشيخ محمد بن عثمان الشاوي . من البكيرية . والشيخ عبد الله بن مطلق بن فُهيد . من عنيزة . وهؤلاء هم الذين كانوا يقومون بتدريس العلوم الأساسية ... وطريقتهم في التدريس هي الطريقة الموروثة المألوفة. " (الجاسر، من سوانح الذكريات، 2006، صفحة 447/ج1) ويرى في نمط آخر من الأساتذة ، ممن تخرجوا في مدارس تسير على أساليب التربية وطرقها الحديثة : " يعد الأستاذ الشوري . رحمه الله . ممن تخصص في علم التربية ... وغالباً مايحمله عمله الإداري على عدم الانسجام ، وقلة الاختلاط بالطلاب ومحاولة إبراز ما لمكانته من منزلة تستلزم الهيبة والاحترام (...)وكان الأستاذ العربي أستاذ النحو (...) إن جفاف ذلك العلم أضفى على طبع الأستاذ في نظر بعض تلاميذه مظهراً من الاحترام والتقدير ليس في مقدور كثير منهم تجاوزه بادراك الغاية منه(...)ويُكبر الشيخ ابن عبد الرزاق أيما إكبار ؛ لأنه أوسع أساتذة القسم انفتاحاً على مختلف وسائل الثقافة الحديثة ؛ إلا أنه يستدرك عليه طبيعته الموحية بالابتذال(...) ويرى أن للسيد الكتبي صلة حسنة بطلابه بما يمتلكه من طبيعة محفزة لهم" (الجاسر، من سوانح الذكريات، 2006، صفحة 489.488/ج1).

مع هذه الشهادات التي خص بها نفراً من شيوخه وأساتذته ، يطل علينا وجه بارز من وجوه التعليم آنذاك ، مزوداً بملاحظات الجاسر وأحكامه الخاصة وإحساسه النابض بها . أما قيمتها الخاصة لنا فترجع إلى الأصداء المغروزة في نفس الجاسر التي لم يثلمها تطاول الزمان وبعد العهد؛ فبقدر ما يضطلع الجاسر بمهمة وصف ذلك العهد والأشخاص المؤثرين فيه من أساتذة ومتعلمين بقدر ما ترتفع قيمته ؛ ذلك بأن الجاسر يقدم فائدة مزدوجة لتاريخ الأدب ولقارئه ، فهو لا يعبر عن وعي هذه الطبقة من أمته وخواصها التربوية والاجتماعية المعلنة فحسب ، وإنما يعبر عن جوانب أخرى خفية، ويصور إلى جانب ذلك . كما سنلحظ . عمقاً من أعماق نفسه ، بحيث يبقى منها ، أي من أمته ، بمنزلة الجزء من الضمير الجماعي الكبير المتغلغل فيه (جبرا، 2015، صفحة 81)، ولطالما عكس الأدب والفن بطريقة مباشرة أو غير مباشرة صفات طبقة معينة منه (فرفيل، صفحة 120) .

وآية ذلك، التساؤل الكبير الذي ميز الحوار الداخلي مع النفس نهاية الفقرة : " تلك حصيلة صاحبنا أبان الدراسة في الجانب السلوكي الذي انطبع في ذهنه عن مشايخه ومعاملاتهم لطلابهم

، أفتراها ستكون الركيزة التي سيقيم عليها بناء عمله الجديد ؟! وأين إذن الفارق . بل الفوارق . بين أولئك الطلاب الذين كان أحدهم وما منهم إلا من أوشك تجاوز سن الشباب ، وقد يكون من بينهم من دلف إلى المرحلة التي بعدها ، وبين هؤلاء الذين لم يتجاوز أكبرهم سناً مرحلة البلوغ إلا بسنوات يسيرة ، ولم يتخط أصغرهم السنة السادسة من عمره ؟ وما لهذا الاختلاف من آثار في التحصيل والتفكير و الإدراك ؟! ." (الجاسر، من سوانح الذكريات، 2006، صفحة 457. 458ج1) . الذي يعني القارئ هنا دور الاستفهام الذي دلَّ فيما دل على يقظة الفكر والشعور معاً، والحذر والترقب لما قد تأتي به الوظيفة الجديدة من سلوكيات تتغلغل إلى عالمه النفسي الذي لا تطغى فيه العناصر بعضها على بعض.

إن قيمة الحوار ترجع إلى الشعور المتأرجح والفروق الدقيقة في المشاعر ، ومنشأ هذا الإحساس يعود إلى الصعوبة الكامنة في ذلك الانتقال من صفة الطالب إلى صفة المعلم .. إنه ينظر إلى هذا الشطر من حياته فلا يراه كسابقه ، ولو تبينه على الوجهة المرادة لما أطال وتساءل وزيّد في السؤال وتردد في الإجابة . إن مايعلمه أن طبيعته تأبى عليه أن يكون فظاً خشناً معزولاً عن طلبته بحاجز منيع ، كما إنه لا يطيق أن يكون مهلهلاً حد الابتذال . لكنه غير متيقن من الوصول إلى الوجهة الفضلى ، أي إلى الاعتدال والتأثير ..!

ومن حسن حظ القارئ ، إن الجواب لم يتأخر كثيراً .. لقد زُج الجاسر في مجال التعليم وشق درباً متسقاً دالاً على شخصيته ، يقول بشيء من الثقة : " أما بعد ، فاذا كانت أبرز صفة يتحلى بها المدرس الناجح امتداد صلة الحب والتقدير ، والذكرى الحسنة بينه وبين طلابه ، فان صاحبنا قد جاز الامتحان مسروراً ، ولايزال يتجدد سروره ويزداد بما يلقاه من أوفياء أولئك الطلاب من حسن التواصل ، في كثير من مدن المملكة التي سعد فيها بامتهان تلك المهنة الشريفة . " (الجاسر، من سوانح الذكريات، 2006، صفحة 459/ج1) . نعم ، لقد نجح الجاسر في مدِّ جسور الحب والتقدير بينه وبين طلابه ، ولم يكن ذلك صعباً عليه ؛ فلم يكن الجاسر من متصنعي الود ، ولم يكن ثمة حجاب يحجبه عن ما عمرت به النفس من فضائل ، وكانت في جملتها عناصر طبيعية في بنائه ونشأته تغذي سلوكه بألوان من العاطفة السمحة ، وكان الخير أصل في تكوينه . ولقد رأى أن ذلك النجاح لايتم إلا بمزيد من البذل ، فلم يجلس في الدرس إلا وسطهم ، عارضاً لمادته بأسلوب قصصي يستميل أرواحهم ونفوسهم وعقولهم ، مُظهراً التوجيه لهم بلطف ، مع الرضا من دون اللجوء إلى مؤاخذة أحدهم بما يجرح الشعور ، وإبعاد ما يوحي ولو بقليل القليل من صفات التشفي والانتقام وإظهار الحنو والعطف بدل ذلك ، وبتلك

الطريقة يحل الجاسر في نفوس طلابه بمنزلة المحب المكرم ونما شعور الود والتقدير. (الجاسر، من سوانح الذكريات، 2006، صفحة 459.458 ج1).

لكن هل هذا كافٍ وحده ؟ لاشك أنّ معاني الخير أصل في الأستاذ ونافع جداً أن يمتاز بها ، ولابد أن يوفق إلى اظهرا ذلك كله بأن تتجلى صفاته الجوانية مع ثقافته على شكل موقف ، موقف يتخذه الأستاذ من نفسه ومما حوله من أشياء العالم الخارجي ومن طبيعة مشكلاته ؛ لأن مبلغ تأثير الأستاذ بطلبته بأنهم يرونه إنساناً من لحم ودم ، مزيج من الفكر والشعور والمواقف وليس مؤدياً لكتاب مقرر أو فصول من منهج دراسي فحسب . ويقتضي ذلك قطعاً ، ضميراً يقظاً وقلباً دافقاً بالانفعال المتوازن ووعياً سليماً مع كل ما يساعد على الإبداع في إيصال المادة وفي الحكم على الأشياء جنباً إلى جنب .

لقد أحسّ الجاسر بأن هذا الجانب ليس كل شيء ، ولابد من أشياء عملية تؤازر الطبع السليم ومناحي الخير ، وانسجاماً مع صفة التواضع المستوطنة في طبعه ، يستدرك قائلاً عن نفسه : " فهو وإن نال قسطاً من المعارف والعلوم الدينية والعربية لايزال بحاجة إلى ما يؤهله ليكون مربياً ناجحاً ، وهذا لا يقتصر على نيل قسط من العلوم وإن عظم ، بل يتطلب مع ذلك الإلمام بقواعد التربية الحديثة ، التي تعنى بتحليل غرائز الطفل وميوله ، وإيضاح وسائل الاستفادة من تلك الغرائز ... وبضاعتي منه مزجاة ، بل لا بضاعة لي منه ، وإنما هي خيوط واهية مما تلقفته الذاكرة على غير أساس ، وما أوهى ما تتلقف ، وما أضعف ما تعي ! . " (الجاسر، من سوانح الذكريات، 2006، صفحة 459ج1) لقد وعى الجاسر أن أي تعليم لا يُقام من دون نظام وتدريب مناسب ، و"التسلية ليست تعليماً" (موروا، فن الحياة، 1979، صفحة 180.179). وعبر عن ضآلة ما يعلمه ويعرفه عن أدوات ذلك الفن التي لا غنى عنها ، وعلى القارئ أن يدرك أن التواضع الجم ، وعدم رضاه الدائم عن نفسه ، هو ما أملى عليه الاعتراف بالنواقص والأخطاء ولاشك أنّ في ذلك ما يدل على سلامة الضمير وصحة الوجهة .

مع القضاء : صُدم الجاسر بقرار نقله إلى القضاء ، لقد كان مطمئناً إلى وظيفته الحالية في التعليم .. لقد أرسى دعائم استقراره ، وتعرف على طبيعة عمله ، وانسجم مع نواحيه .. وقد يحق للقارئ أن يقف وقفة قصيرة متسائلاً عن مدعاة ما صدر عن الجاسر من ردود نجمت عن حالة نفسية طارئة كادت تخل بتوازنه ..! ألم يعلم الجاسر أنّ قسم القضاء الشرعي الذي تخرج فيه يؤهله لوظيفة القضاء تحديداً ؟ فكيف له أن ينسج على منوال بعيد عن هذه الحقيقة متشبثاً بوظيفة التعليم العارضة أصلاً ..؟!

مجلة إكليل للدراسات الانسانية
التصنيف الورقي: العدد 25 /آذار/2026
المجلد(7)-العدد(1)-الجزء(1) IASJ-Iraqi Academic Scientific Journals

في مجال الإجابة ؛ فإننا ننتفع من أحاديث الجاسر المتفرقة المتضمنة مواقف شخصية من القضاء في البلاد ، وآراءً ونبذاً حول مايتصل به ، وستكون في مجموعها صورة عن شخصية الجاسر وهي تتطور أمام أعين القارئ بعد ذلك . كان ذلك الانتقال مطلع عام 1937 ، وكان انعطافاً جديداً في حياته ..! لقد أحسّ الجاسر بكرب شديد ؛ لمّا لم تنفع الوسائل على اختلافها على ثني هذا القرار ، وبالإمكان الاهتداء إلى أطياف ذلك الشعور عند قراءة عنوان السانحة (إلى القضاء ! وما أشقها من نقلة!!) وما بعد العنوان ؛ إذ يقول الجاسر بشيء كبير من التشوش والارتباك : " لقد فوجئت مساء يوم من الأيام بما لم أكن أتوقع ، بل صدمت بأمر كاد يفقدني صوابي ، إذ أوقعني في شبه حيرة انسدت خلالها أمامي جميع المسالك التي تفضي بي إلى استيضاح مناهج الصواب ، فصرت لا أبصر من أمري موقع قدمي . " (الجاسر، من سوانح الذكريات، 2006، صفحة 475/ج1) وحار الجاسر لهذا الخبر بين ضروب شتى من الانفعالات ، واضطرب عليه الأمر ، وللقارئ شواهد دالة على حركة النفس الحائرة المصطرعة ، وقد تجلت في أوضح صورها وهي تضطرب وتتموج لما نزل قرار النقل عليه كالبرق . لم يكن الجاسر راغباً في القضاء .. كان التعليم أقرب إلى نفسه ، إن مجرد التفكير في النأي عن مطالعة التراث المحبب إلى نفسه يزعجه ويؤذيه .. ومن هنا أمكن أن نعزو امتناعه عن قبول الوظيفة إلى انسجامه مع التعليم وارتياحه لمناحي العمل ؛ فنراه يقول: " أصبحت أجد من الميل إلى عملي والرغبة فيه ما يشغل ذهني ، بحيث لا أتطلع إلى أي عمل سواه ، بل لا أفضل عليه غيره ." (الجاسر، من سوانح الذكريات، 2006، صفحة 475/ج1) ولعل السر وراء ذلك يعود إلى ميله الذاتي لكل مايتصل باللغة والأدب وتعليمهما ، فضلا عن إحساسه الطاغي بأن في هذا المجال شيء يعوزه ، ويحتاجه ، ولاغرو أن يكون متعلقاً به ، ومشدوداً إليه . والأمر يتضح عبر قوله هذا : " ما كنت مترددا حين أوضحت فيما كتبته لرئيس القضاة بأنني لن أدع أية وسيلة تخلصني فيما لو كلفت بدون اختياري إلا اتخذتها، وما كنت مفكراً إذ ذاك بالامتثال بطوعي واختياري ، ومضت أيام توقعت خلالها أن الأمر انتهى ، وبدأت أفكر في إصلاح حالي " (الجاسر، من سوانح الذكريات، 2006، صفحة 478 / ج1) .

كان الجاسر يحمل على أداء بعض القضاة ، لقد وجد فيهم غلظة وتسرعاً ومن شواهد ذلك أنه حكم بالسجن ، وعوقب أكثر مرة في حياته من غير وجه حق، لكنه وإن نال ما ناله ، فقد كان ثبت الجنان في تلك المواقف عصياً على الانكسار ؛ ومع هذا فقد برر لهم بنبرة إشفاق حانية وبأحاسيس من النبل ، بأنهم لم يتخرجوا في معاهد القضاء ، ولم يتلق الفرد منهم التدريب اللازم

ووقع نفر منهم عرضة لضغوط الأمراء ، وانهم يصدرون بتوجيه المملكة التي كانت تريد الحزم والشدة من أجل توحيد البلاد . (الجاسر، من سوانح الذكريات، 2006، صفحة 367.523 /ج1)

لقد جرَّت محنة الانتقال إلى القضاء فيما جرّته إلى تحرير تيار الشعور الناقل لعاطفة الجاسر في تموجها واضطرابها ؛ ويعظم هذا التيار عند ذوي الإحساس العميق وهو ركيزة أو موطن الاستيحاء كما يحلو لأنصار المذهب النفسي هذا التوصيف (الحاني، صفحة 33) ؛ لكنه لايعني فراراً من الواقع الخارجي كما يعني عندهم أحياناً ، وإنما امتداد يوازي ما أُثر عن الجاسر من صدق ، ولاشك أنّ : " الأديب الصادق هو الذي يفيد من هذا التيار الفياض فيسجله كله أو بعضه " (الحاني، صفحة 33) ، ولايقف عند هذا الحد ، بل إن من مهامه " أن يقودنا إلى منابع الحياة المخبأة" (موروا، فن التراجم والسير الذاتية ، 1999، صفحة 139) ، دافعاً القارئ المفتون بدقائق الحياة الداخلية لأبطال هذا الفن إلى العمق المناسب ؛ ولأن هذا الفن : " لاينبع من العقل الواعي فحسب ، ولكن من العقل الباطن " (أحمد، من الوجهة النفسية في دراسة الأدب ونقده، 1947، صفحة 153) ؛ فللقارئ المريد من التعمق في هذه الأطوار النفسية المتفاوتة في درجتها ونوعها فرصة ذهبية لاتفوَّت .

كان امتناع الجاسر عن تنفيذ الأوامر خارج مألوف الإدارة العليا للبلاد ، لقد اختار أن يماطل أملاً بأن يُعفى من مهمة القضاء ، فلو تسنى له الخلاص ؛ لجرى فوراً الى عمله في التعليم الذي انغمس فيه واقترب من الحياة الهادئة المستقرة . لكن ذلك لن يكون بعد ما دفعته الأحداث في ذروة المواجهة ، ويصف الجاسر ذلك ويطغى على وصفه إحساس بالقوة القاسية التي تجبر الإنسان على الطاعة . يقول وقد أُغلق الطريق الى الراحة النفسية والاطمئنان بوجهه : " لقد اعتدت التردد على مكتبة الحرم المطلة على المسجد ، وبعد مضي أيام اطمأننت خلالها ، وتوقعت أن الأمر انتهى ، وبعد صلاة الظهر في المكتبة مع من فيها بصلاة إمام الحرم ، ماشعرت إلا بشرطي يتقدم إلي طالباً الخروج معه ... قدمني الشرطي لضابط قام فأدخلني غرفة واسعة يتصدرها مكتب جلس خلفه (مدير الأمن العام مهدي المصلح) تقدم إليه الضابط فهمس بأذنه ، فما كان منه وأنا واقفاً إلا أن خاطبني بحدة وانفعال ، بكلمات تتضارب في فمه ، مع ما نطقه من تعتة واضطراب وكنت متهيئاً لمصافحته ، فلم يتحرك من مكانه ، فاندفعت بأعلى صوتي قائلاً : أنا طالب علم ، لست مجرماً ، ولم ارتكب ما يستوجب إهانتي" (الجاسر، من سوانح الذكريات، 2006، صفحة 478/ج1) كان جو الإدارة قوياً ومستحكماً ، ويتضح الآن ، ذلك التصور الشائع عن حرازة ذلك المجتمع وحدته وصرامته أمام الجاسر الذي آمن بأنه يمتلك الحق الكامل

التصنيف الورقي: العدد 25 /آذار/2026
المجلد(7)-العدد(1)-الجزء(1) IASJ-Iraqi Academic Scientific Journals

باحترام الدولة له مهما كانت درجته الاجتماعية صغيرة أو ضئيلة ، وتبين النبرة المحتدة ارتفاع إحساس الجاسر إلى مستوى من الإحساس تكون ذاته منسجمة مع طبيعة الواقع الذي انجبه وفي الضد منه في الوقت نفسه ، هذا التضارب في الاتجاه دليل على حركة الضمير الحي وهي ذاتها التي فتحت الطريق مبكرا للاندماج مع كل مظهر من مظاهر العدالة ونبذ الظلم .

ويسمع الجاسر برقية الملك : " أبلغوا حمد الجاسر بالتوجه سريعاً لمباشرة عمله قاضياً لضبا ، أو أحبسوه وأفيدونا" (الجاسر، من سوانح الذكريات، 2006، صفحة 479/ج1) . ويرضخ الجاسر للمرسوم ، ويعد العدة للرحيل ؛ فلا طاقة له فيما قد يكون من حبس وسوء معاملة ، ولم يجد بدأ من المضي في طريق الرحلة ، وتبدأ على نحو أشق وأصعب مما كانت سابقاتها ، ويكافح الجاسر لتصحيح الأمر ، ويهون عليه المصاب مع رفقة تؤنسه وتنسيه الهموم لتتحول الرحلة الى استجمام ونزهة ، ويسترد طابع البِشر والاحتفال بالأرض و يجوّد في الوصف ، ويسبغ عليه روعة مسهباً في وصف الحياة البرية ، فنراه يقول بشيء كثير من الراحة والاطمئنان : " فالرفقة على قلب رجل واحد، والأرض كأنها بساط سندسي تزدان بمختلف الألوان بأزاهيرها وأنواع نباتها ، ننزل منها حيث يطيب لنا النزول ، ونرحل حين يهون المسير ، وقد يستجد لنا من ذكريات ما نمر به من المواضع مايحملنا على استجلاء ما في جعبة رفيقنا البلوي من أخباره ، فيجنح إلى الغور في إعمال الخيال (...) " (الجاسر، من سوانح الذكريات، 2006، صفحة 481/ج1)ويسترسل الجاسر في وصف الرحلة ، وقد بدت عليها آثار التقاليد اللغوية لأسلافه والخلفية الفنية التراثية بشكل واضح يثير الإعجاب . وبعد أن أزاح عن كاهله مشقة الانتقال إلى القضاء ، استجمع نشاطه مجدداً ووجه عنايته للعمل الجديد ، وتسلم عمله في ظَّبا .

لم يطل الزمن بالجاسر حتى شعر بجو من الإملال يخيم على أجواء عمله ، وعبثاً حاول تزجية الوقت بالمطالعة ..! هاهو وقد عبّر عن تلك الأيام بجوها الثقيل الذي لا يألفه : " لقد بدأت أشعر بثقل ما يعتريني من وقت ، فما من عمل في المحكمة ... ولم يقتصر الإحساس بالفراغ بالنسبة لي على ما اعتراني من ضيق نفسي كنت أحاول إزالته أو تخفيفه باللجوء إلى المطالعة ... " (الجاسر، من سوانح الذكريات، 2006، صفحة 497 / ج1) ثم يحدث أن تُنسب للجاسر حادثتين في القضاء ..! ويخشى الجاسر أن تذهب الظنون بمن حوله إلى أن موقفه دليل عصيان وتمرد وعقوق ، ويصدق حدسه ويفصل الجاسر من وظيفته 8/8/ 1938. ويحرص الجاسر على قطع صلته بالقضاء بشكل نهائي. (الجاسر، من سوانح الذكريات، 2006، صفحة 579 /ج2)

مجلة إكليل للدراسات الانسانية
التصنيف الورقي: العدد 25 /آذار/2026
المجلد(7)- العدد(1)-الجزء(1) IASJ-Iraqi Academic Scientific Journals

الابتعاث والعودة للتعليم والصحافة : تلوح للجاسر فرصة للابتعاث لإكمال الدراسة في مصر ، وينالها بعد لأْي وشدة ، ويغادر عبر البحر متوجهاً نحو القاهرة في عام 1939. وكان لأجواء الرحلة البحرية ـ بكل ما فيها من عناصر تأثير ـ وجه ظاهر عليه ؛ فقد شعر بشيء ما يستوقفه ، وسرعان ما استوضحه ، لقد كانت هواجس الحنين للمكان تغالبه ، وتهيج ذكرى مقيمة في النفس . ويعجب الجاسر من تقلب أطوار النفس في هذا المقام : " عند استنشاق نسيم البحر ـ والفصل أول الربيع ـ أحسست انتعاشاً أضفى على نفسي فيضاً غامراً من الشعور بالبهجة والارتياح لم أدرك له تعليلاً ... فلابدع أن يثير هذا النسيم العليل في نفسي ذكريات بلدة لن ألبث طويلاً قبل مشاهدتها ، فأستعيد بذلك من بواعث تأثيرها في مرحلة مؤثرة في مسير حياتي بحيث خصصتها بإحدى بواكير مؤلفاتي " (الجاسر، من سوانح الذكريات، 2006، صفحة 611/ ج2)وينبع هي المدينة ، ويسترسل في وصف ما اعتراه من شعور بعدما مرّ حذاءها : " وغادرت الباخرة الميناء إلى وجهتها وماتزال تباريح الهوى ونوازع الشوق لذلك المغنى الحبيب تتجدد بتجدد ما يغمرني من وفاء أبناء وأخوة هناك" (الجاسر، من سوانح الذكريات، 2006، صفحة 612/ج2).

ويصل الجاسر القاهرة في منتصف العام ، ولمَّا لم يحل الفصل الدراسي بعد فقد كانت الجولات اليومية من أقوى الرغبات لديه ، ولم تقف عند مقام الأزهر أو المكتبات أو الأضرحة وإنما شملت ماهو أبعد من ذلك ، وقبالة جدّة المظاهر التي حفلت بها المدينة وتنوعها واختلافها عن مألوف حياته ، كان لابد أن تُستثار روحه وتعتريه هزة العجب وأن تدفعه الحال للإفصاح عما انتابه من ذهول ناجم عن الفرق بين طورين من حياته ؛ إذ يقول بلهجة فيها كثير من الإحساس بالتفاوت : " ها أنا وقد تفتح نظري عند رؤية هذه المدينة لأول مرة على آفاق واسعة من أنماط الحياة مما لاعهد لي به ، وأنا وان أخذت نفسي بالشدة والصرامة بأن أكون الطالب المثالي في مختلف أوجه سلوكي بل في كل شيء من أنواع مظاهر حياتي حتى الزي الذي اخترته ، إلا أن طبيعة الإنسان الذي عانى حياة كلها جد وتقشف وعمل ، وفجأة يخرج منها الى هذه الأجواء الفسيحة من الانطلاق ليس في مستطاعه كبح الجماح عن التأثر بما ظل يعيشه . " (الجاسر، من سوانح الذكريات، 2006، صفحة 622/ج2). لقد وجد نفسه وسط أجواء من اللهو والانبساط لم يألفها، كانت الحياة الليلية للمدينة بكل مافيها تضفي جواً رائقاً لاهياً لم يندمج مع تياره كل الاندماج ، لاشك إنه قد دهُش وربما شعر بالانقباض ..! إذ إن جو المسرات والأفراح المكشوفة مدعاة إلى مسائلة الضمير عن موقفه من ذلك كله ، وربما مرت به لحظات تساءل فيها

عن صحة سلوكه ؛ فرأى أن يعود للبحث عن قيمة ثابتة في الحياة تبرر قبول مثل تلك الأشياء أو تضيف منطقاً معقولاً لها... (اسماعيل، صفحة 249) ولم يلبث أن يصف شعوره بصدق تام ، ويقول كمن يريد أن " يعيد الحقيقة الى نصابها ويصلح ويصوب ويكذب ما يُرمى به من مزاعم زوراً وبهتاناً " (الذاتية، 2017، صفحة 71)، وليأخذه القارئ من باب الاعترافات الشخصية ذات الطابع المحض : " إنني أنسان خلق من لحم ودم ، ولست قديساً (مطهراُ) معصوماً ، وأنا أتحدث عن زمن مضى وانقضى ، مارست فيه بعض مايمارس من هو في مثل سني ، ولكنني لا أرى أي حرج بأن أكون صريحاً ، بل أرى أنه يجب أن أكون صادقاً مع نفسي ومع من أتحدث إليه ممن يهوى معرفة ما يحدث لإنسان تفتحت عيناه على مباهج الحياة بعد كبت وحرمان ، مع شدة إغرائها ، تصدى ليقف منها الموقف الذي يحس فيه الرضا التام عن نفسه ، والبعد عن كل ما يلام عليه من هو في مثل سنه ." (الجاسر، من سوانح الذكريات، 2006، صفحة 624/ج2)

إذا كان لهذا الاعتراف مزية ، فلا مراء أن تكون نية مضمرة هدفها هدم حجة المشكك في موقف الجاسر من هذا العالم الواسع المتنوع . وثمة أمر آخر ، في مجال السير والتراجم ليس من الواجب النظر إلى الإنسان بوصفه كتلة من الخير أو الشر ، ولاينبغي أن يصرف القارئ همه إلى الحكم الأخلاقي (موروا، فن التراجم والسير الذاتية ، 1999، صفحة 32)، وأرى أن الجاسر قد وعى هذه النقطة تحديداً ؛ لأنه لم ينكر الوقائع ـ وفي مقدوره ذلك ـ بما فيها من حقائق نفسية أمعن في وصفها ؛ لأن الأنكار سيضفي عليه شيء من الإجلال يرقى به فوق مستوى النقد ..! لقد كان الجاسر جديراً حقاً باحترام القارئ ؛ لأن ليس من همه افتعال المواقف ليجعل من ذاته قيمة عليا تسمو به فوق الناس، وسيكسب ذلك بلا شك ثقة القراء ، مع تأكيده على أبسط الشؤون وأدق المواقف . ويعود الجاسر إلى بلاده بعد انقضاء مدة الابتعاث ، ويظهر ميلاً واضحاً للعودة إلى التعليم ، ثم يشغل مهمة (مراقبة التعليم في الظهران) بأمر ملكي .

لم يمض عليه طويل من الوقت حتى يُمتحن بمسألة الولاء ، أيكون لأمير المنطقة أو للملك ..؟! ولنا أن نقرأ أطراف من المسألة ؛ لنتبين موقفه ، وقد أصابه العجب من شأن الأمير الذي باغته بطلب جاء فيه : " الغاية من حضورك إخبارك برغبتي بأن تكتب إلي بكل ماتشاهده هناك ، مما يستدعي لفت النظر إليه سواء مايتعلق بالشركة أو بالموظفين أو غيرهم ، ويكون ما تكتب به إلي سراً لايعلم به أحد ... " (الجاسر، من سوانح الذكريات، 2006، صفحة 737/ج2)إن الإذعان لهذه المطالب مر المذاق ؛ فلابد أن يجري لسان الجاسر بما يجول في تفكيره وما آمن به ، فنراه يقول: " أوضحت له بأنني مكلف بعمل لايسوغ لي أن أشتغل بما عداه من الأعمال ، وأن من

مجلة إكليل للدراسات الانسانية
التصنيف الورقي: العدد 25 /آذار/2026
المجلد(7)- العدد(1)-الجزء(1) IASJ-Iraqi Academic Scientific Journals

ضمن ذلك العمل فيما لو لاحظت مايستدعي لفت النظر للاهتمام به ممايتعلق بأحوال الشركة أن أكتب عنه للجهة التي عينت من قبلها... وكررت بأن يحمل اعتذاري هذا محمل الإخلاص التام لمن كلفني بذلك العمل ، وهو جلالة الملك ..." (الجاسر، من سوانح الذكريات، 2006، صفحة 809/ج2) ، ولم يكن آسفاً على موقفه ، لكنه خشي أن يعقب ذلك ندم ؛ فقد بقيت له بقية من حذر أو وجل قديم ، فنراه يقول بلهجة ملؤها الحيرة والتردد: " انتابتني الحيرة ، ماذا سيكون مصيري ، وذهبت بي الأوهام كل مذهب " (الجاسر، من سوانح الذكريات، 2006، صفحة 809/ج2)وكان أقصى ما يأمله أن يرجع الى مكان عمله بسلام . ومن وجهة نفسية ، فإن قيمة الحوار ترجع إلى ما خفق قلبه من أحاسيس مضطربة ، وما اعترى عقله من أفكار متداخلة . (النجار، 1964، صفحة 61) تمر الحادثة على القارئ فربما لايشعر بشيء يستوقفه ، أما العارف بأمر الجاسر ومحيطه فيخلع عليه صفة الجرأة ، ويبلغ به الإعجاب المشفوع بأسئلة عن مكمن القوة ومصدر الرفض وعدم الانقياد ، ثم يرى نفسه ملزما بالبحث عن إجابة ؛ لقد نجا الجاسر من الفخ ، وكان أحرص من أن يتورط في هذا المأزق الأخلاقي الذي لاينجو منه الكثير ، إن مأثرة الجاسر العظيمة تأتي من الإخلاص لنفسه قبل الإخلاص لمراجعه ولمن ائتمنه على عمل أو ألزمه بأمانة ، ويعلم جيداً أن لموقفه هذا عاقبة ، وقد تكون قاسية ، لكن لاسبيل سوى المجاهدة في حفظ الأسرار ؛ ولقد كان لتراثه في حفظ النفس وتمجيد الثقة بها مدداً يمده بدوام عزتها وصيانتها .

وتسند إليه مراقبة التعليم في المملكة ، ويقوم بها بأتم وجه ، وأفضل ما يمكن أن يكون عليه أداء ؛ فلم يجد حرجاً من التنبيه على الأخطاء غير ملتفت إلى مكانة مرتكبيها ، ويظهر (تقريره) عن التعليم تلك الصفة ، مع مؤازرته لمجهودات الملك ، وشعوره شعوراً عميقاً بواجبه بصرف النظر عن كل رقابة وأي نقد؛ يقول بنبرة كلها حرص وتفاني : " والحقيقة ـ ياصاحب الفضيلة ـ أن التعليم في نجد سيئة جداً ومديرية المعارف معذورة لعدة أسباب منها : قلة رواتب موظفي التعليم ، ومنها عدم الأكفاء الذين يرغبون في وظائف التعليم ، ومنها ثقة مديرية المعارف ببعض المديرين حينما يرشحون بعض الأشخاص الذي لايقصدون بترشيحهم إلا منفعتهم الخاصة ، وغير ذلك من الأسباب التي لاتخفى على فضيلتكم ، وانني أعرف من مديري مدارس القصيم ـ من عين أباه وأخويه في الإدارة والتدريس ، وفيهم من هو أُمي أو شبيه الأمي ، فأي فائدة ترجى من أمثال هؤلاء " (الجاسر، من سوانح الذكريات، 2006، صفحة 868/ج2) .

ويقبل الجاسر على عالم الصحافة بحماس ظاهر ، ولابد أن يكون لاندفاعه أصل يغذيه ويدفعه ، وسيكون ذلك الجذر ما شهده من نشاط صحفي قريب عنه ، . إذ لم يكن قارئاً فحسب وإنما صاحب قلم ومشاركة (الجاسر، من سوانح الذكريات، 2006، صفحة 343/ج1). ويرجع إلى ماكان يصدر من مجلات أبان دراسته في المعهد في نحو 1930 ، لقد كانت كل من أم القرى وصوت الحجاز مجلتين رائدتين تصدران في مكة ..

وجرياً على عادته ، يزري الجاسر بقيمة ما كان يبعثه للمجلتين وما كان ينشرله ؛ ها هو يقول بلهجة تهكم وازدراء عن نتاج يفاعته : " وأكاد أتوارى خجلاً حين يبرزه أحد العابثين من أدبائنا ، متمنياً أن يبقى سخفه وتفاهته موؤداً (...) ويشدد في ذم تلك المحاولات قائلاً : " ونماذج أخرى أعفي القارئ . بل أعفي نفسي قبل ذلك من عرض ما يغشي النفس ويكشف ما في من عوار النقص " (الجاسر، من سوانح الذكريات، 2006، صفحة 344. 348 /ج1)أما الآن ، وبعد أربعة عقود في ميدان التأليف والعمل الصحفي فقد أصبحت تلك الكتابات وقرزمة الشعر بلا شك طيش شباب ..! هذا ما يمكن أن يستشفه القارئ من حديث الجاسر الساخر الآنف ، ومن عنوان السانحة (40 عاماً في دنيا الصحافة) ؛ ولأنها ذكرى عزيزة ملؤها الإخلاص والتفاني والعمل الجاد؛ فقد نظر إلى هذه الأعوام بكل مايحمله القلب من دفئ المشاعر والتذكارات الرقيقة التي تختلج إحساسه ، مغتبطاً بها أشد الاغتباط ، حريصاً على إخفاء أدنى شكل من أشكال الزهو والافتخار ، فلا غرو أن يقول : " حديثُ المرء عن نفسه . في مقام الإطراء والثناء . من الأحاديث السمجة الممجوجة ، مالم يتناول جانباً من جوانب أعمال تلك النفس ... وهذا ما دفعني للتحدث بإيجاز عن بعض الجوانب المتعلقة بإنشاء المجلة الحبيبة إلى قلبي ، استجابة لرغبة أستاذ كريم أجله وأحمل له في نفسي من التقدير ما يوجب علي تحقيق رغبته " (الجاسر، من سوانح الذكريات، 2006، صفحة 977/ج2).

ينشئ الجاسر مجلته في الرياض بحدود عام 1952 ، ويصدر العدد الأول منها بعد عام ، ويبدو أن إصدارها جاء استجابة لرغبة ذاتية ملحة مقيمة في نفسه منذ زمن بعيد ؛ ليكون الحديث عنها بأكبر قدر من المشاعر الطبيعية الصادقة ( ) وتصدر باسم (مجلة الرياض) لتتحول إلى (مجلة اليمامة) لملابسات خاصة أوضحها الجاسر؛ وجاء في مفتتحها : " فنرى مطبعة الرياض تلقف مايقدم لها من نتاج الأفكار وقرائح الفهوم ، فتحيله أكلاً شهياً طرياً ، وشراباً سائغاً عذباً ، يربي العقول وينعش الأرواح " (الجاسر، من سوانح الذكريات، 2006، صفحة 980/ج2) لقد

كانت مجلة اليمامة في مختارتها وتنبيهاتها وتحقيقاتها ومقالاتها عن أنباء الحركة الثقافية شاهداً حياً على إخلاص الجاسر للعلم والمعرفة والثقافة والبلاد .

لقد عاش حمد الجاسر ما يقرب من تسعين عاماً ، ولقب بالشيخ حمد الجاسر وبعلامة الجزيرة العربية . وكان هذا العمر الطويل غزيراً ثرياً بالتجارب بأنواعها ، فيه السفر والبادية والحضر ، ومشاعر السرور والكدر .. وإذا كان قد نال حظاً في الوظيفة حتى بلغ شأناً عالياً فيها ، وحظاً في عالم الصحافة والكتابة والإعلام ؛ فإن ما وصل إليه من صنيعته هو ، وثمرة حسن الصنع والتفاني في العمل .. كل هذا والدولة لم تتضح معالمها بعد .. !

الخاتمة ونتائج البحث

يقول الجاسر متحدثاً عن سوانحه : " أُملي هذه السوانح مماتجود به الذاكرة ، وهي كما يقال خوانة ..." متحرزاً من الاعتماد المطلق على النفس في مقام عمل الذاكرة ، فيكون كمن يرفض أن يضع نفسه تحت رحمتها كلياً (جبرا، الفن والحلم والفعل، صفحة 12).

وورد في تقديم الكتاب موضع البحث مقدمة جاءت بعنوان : (بين يدي السوانح) وهي على وجازتها من جياد المقدمات الدالة على أسلوب صاحبها وطريقته في إنشاء كتابه ؛ ولأنها توطئة لمادة الكتاب أي لحياة صاحبها ؛ فقد جاءت طرية ثرية بمشاعر الزهد والتعفف وتواضع العلماء ولاغرو أن ترد فيها عبارات (مطابقة الواقع) و(الذاكرة الكليلة) دليلاً على التواضع وغيرها ... أما حمد الجاسر ، فهو في (سوانح الذكريات) رضي النفس ، متئد الخطى مع ضمير حي ، يرشده إلى سُبل الخير والرشاد ، ونبذ التعسف والضيم . وبمقدار ما يضطلع بالمهام وتتعاظم المسؤولية و تشتبك الأحداث يرد مقدار ما يشعر به من قوة داخلية وعنفوان هادئ لا يقبل الهوان ولا يخالط الكدر . منطلقاً من شعوره بمسؤولية الكلمة وقيمتها ، وحب الخير والمعرفة ، والبلاد والعباد . ولعل شيئاً كبيراً من معنى (السانحة) قد ترشح على مبنى الكتاب ، وأدار موارده إدارة بمقتضى دلالتها ، إنك لتجد تفصيلاً عن نشأته الأولى أو قضية من قضايا حياته ، ثم يُعاد ذكره بعد أن قطع شوطاً طويلاً ، وكأنه يبدأ من جديد ، أي بما تسنح ذاكرته ، وبما تستدعي حالته النفسية ، ومقتضى حاله . وطبيعي أن يضيع التاريخ الحقيقي لكتابة هذه السوانح ، ويدخل في باب التخمين ، ولا شك إن العلاقة وثيقة بين التاريخ وكتابة السيرة ؛ إلا أن أمام الباحث أكثر من تاريخ ، فقسم منها يعود إلى أعوام مجلته التي نشطت من 1954 إلى 1980 والحقيقة أنها أشتات متفرقة ينشرها بين حين وآخر، أما ما دوّنه بشكل أكثر دقة في بيروت فقد أتت عليه الحرب الأهلية بأوزارها وماعاد له ذكر، في حين أن مادة هذا الكتاب نشرت مجزّأة في (المجلة العربية)

منذ عام 1986 وامتدت إلى عام 1996 ، وقد أحسنت اللجنة المكلفة بالنشر كل الإحسان عندما أضافت مواداً حجبتها الرقابة ، وسوانح أخرى حصلت عليها من عائلته . يقودنا الفرض إلى أن زمن كتابة هذا السوانح بعيد عن الأحداث نفسها ، وبالرغم من ذلك ، فان أحساس الجاسر بالذكرى القديمة ظل نابض العرق ، ولم يحل محله الاعتراف البارد بالأدوار والأشواط والمكابدات والمسرات التي واجهها في محطات حياته . كان تركيزه على رقة العاطفة حقيقة لايمكن تجاهلها ، وكان لهذه الحقيقة أكثر من وجه ؛ لقد وجد فيها ضعفاً ، مع هذا فقد كانت على علاتها عنصراً عرف كيف ينقيه ويوجهه ويرفع من قدره وكيف يوظفه في تحريك قوته الخالقة للإبداع . وكان ولاء الجاسر للمملكة قائماً على وحدة الدم والعقيدة ، وهو أقوى أنواع الولاء ، لكنه لم يتفوق على ولاء الجاسر لعقله ولضميره ، فلم يكن من نوع الولاء الضيق للجماعة التي نشأ بينها؛ ولم يقف مانعاً في سبيل تقدمه وطموحه .

و لايطمع صاحب البحث أن يلمّ إلماماً وافياً ومحكماً لأوجه السيرة الذاتية لحمد الجاسر بتمامها، و حسبه أن يقف عند أوضح الوجوه ، وأن يكون معيناً ومرشداً لهذه الحياة الفريدة .

المصادر

1. إدارة التكشيف والببليوجرافية الوطنية. (2005). حمد الجاسر دراسة لحياته مع ببليوجرافية لأعماله المنشورة في الكتب والمجلات. الطبعة الثانية. الرياض.
2. السيرة الذاتية. (2017). جورج ماي (المجلد الأولى). (محمد القاضي .عبدالله صوله، المترجمون) القاهرة، مصر: دار رؤية.
3. أندريه موروا. (1979). فن الحياة. (أحمد فتحي، المترجمون) القاهرة، مصر: كتاب الهلال.
4. أندريه موروا. (1999). فن التراجم والسير الذاتية (المجلد الأولى). (أحمد درويش، المترجمون) القاهرة، مصر: المجلس الأعلى للثقافة.
5. جبرا إبراهيم جبرا. (2015). ينابيع الرؤيا (المجلد الأولى). دار الصدى.
6. جبرا إبراهيم جبرا. (بلا تاريخ). الفن والحلم والفعل (المجلد د .ط). بغداد: دار الشؤون الثقافية.
7. جون فرفيل. (د .ت). الأدب والفن في ضوء الواقعية. (محمد مفيد الشوباشي، المترجمون) القاهرة: دار الفكر العربي.
8. حسين فوزي النجار. (1964). التاريخ والسير (المجلد د. ط). القاهرة، مصر : الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر.
9. حمد الجاسر. (1980). رحلات حمد الجاسر (المجلد الأولى). الرياض، المملكة العربية السعودية: دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر.
10. حمد الجاسر. (2006). من سوانح الذكريات (المجلد الطبعة الأولى). الرياض: دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر.

11. زكريا إبراهيم. (د . ت). مشكلة الحياة (المجلد د . ط). القاهرة، مصر: دار مصر للطباعة .
12. سعيد عدنان. (27 ،8 2024). فن السيرة الذاتية نشأته وتطوره. https://www.youtube.com/watch?v=0Q7ScLzjQH0. النجف، النجف، العراق.
13. عبد الرحمن علي إبراهيم. (2001). الشيخ حمد الجاسر حياته وجهوده العلمية والعملية المختلفة. الأولى . الرياض، السعودية .
14. عبد العزيز شرف. (1992). أدب السيرة الذاتية (المجلد د.ط). القاهرة، مصر: دار نوبار.
15. عزالدين إسماعيل. (بلا تاريخ). التفسير النفسي للأدب (المجلد الرابعة). القاهرة، مصر: مكتبة غريب.
16. علي جواد الطاهر. (1987). أساتذتي ومقالات أخرى (المجلد الأولى). بغداد، العراق: دار الشؤون الثقافية.
17. محمد خلف الله أحمد. (1947). من الوجهة النفسية في دراسة الأدب ونقده. القاهرة، مصر: لجنة التأليف والترجمة والنشر.
18. ناصر الحاني. (د .ت). من اصطلاحات الأدب الغربي (المجلد الأولى). القاهرة : دار المعارف بمصر.
19. ويلبر س . سكوت. (1981). خمسة مداخل إلى النقد الأدبي (المجلد الأولى). (عناد غزوان إسماعيل و جعفر صادق الخليلي، المترجمون) بغداد، العراق: دار الحرية للطباعة.

References

1. Administration of Indexing and National Bibliography. (2005). Hamad Al-Jasser: A study of his life with a bibliography of his published works in books and journals (2nd ed.). Riyadh, Saudi Arabia.
2. May, G. (2017). Autobiography (Vol. 1; M. Al-Qadi & A. Soula, Trans.). Cairo, Egypt: Dar Ru'ya.
3. Maurois, A. (1979). The art of living (A. Fathi, Trans.). Cairo, Egypt: Kitab Al-Hilal.
4. Maurois, A. (1999). The art of biography and autobiography (Vol. 1; A. Darwish, Trans.). Cairo, Egypt: Supreme Council of Culture.
5. Jabra, J. I. (2015). Springs of vision (Vol. 1). Dar Al-Sada.
6. Jabra, J. I. (n.d.). Art, dream, and action (n.p.). Baghdad, Iraq: Dar Al-Shu'un Al-Thaqafiyya.
7. Ferretti, J. (n.d.). Literature and art in the light of realism (M. M. Al-Shoubashi, Trans.). Cairo, Egypt: Dar Al-Fikr Al-Arabi.
8. Al-Najjar, H. F. (1964). History and biography (n.p.). Cairo, Egypt: Egyptian House for Authorship, Translation, and Publishing.
9. Al-Jasser, H. (1980). The travels of Hamad Al-Jasser (Vol. 1). Riyadh, Saudi Arabia: Dar Al-Yamamah for Research, Translation, and Publishing.
10. Al-Jasser, H. (2006). From scattered memories (1st ed.). Riyadh, Saudi Arabia: Dar Al-Yamamah for Research, Translation, and Publishing.
11. Ibrahim, Z. (n.d.). The problem of life (n.p.). Cairo, Egypt: Dar Misr for Printing.

12. Adnan, S. (2024, August 27). The art of autobiography: Its origin and development [Video]. YouTube. https://www.youtube.com/watch?v=0Q7ScLzjQH0
13. Ibrahim, A. A. (2001). Sheikh Hamad Al-Jasser: His life and diverse scientific and practical efforts (1st ed.). Riyadh, Saudi Arabia.
14. Sharaf, A. A. (1992). Autobiographical literature (n.p.). Cairo, Egypt: Dar Nubar.
15. Ismail, E. (n.d.). Psychological interpretation of literature (4th ed.). Cairo, Egypt: Gharib Library.
16. Al-Tahir, A. J. (1987). My teachers and other essays (1st ed.). Baghdad, Iraq: Dar Al-Shu'un Al-Thaqafiyya.
17. Ahmed, M. K. A. (1947). The psychological approach to the study and criticism of literature. Cairo, Egypt: Committee for Authorship, Translation, and Publishing.
18. Al-Hani, N. (n.d.). Terms of Western literature (1st ed.). Cairo, Egypt: Dar Al-Ma'arif.
19. Scott, W. C. (1981). Five approaches to literary criticism (Vol. 1; A. G. Ismail & J. S. Al-Khalili, Trans.). Baghdad, Iraq: Dar Al-Hurriya for Printing.

مجلة إكليل للدراسات الانسانية
التصنيف الورقي: العدد 25 /آذار/2026
IASJ–Iraqi Academic Scientific Journals المجلد(7)- العدد(1)-الجزء(1)

Autobiographical Dimensions in Min Sawāniḥ al-Dhikrāyāt by Ḥamad al-Jāsir

Dr. Waseem Abdul-Ameer Darwish
Karbala Education Directorate
Ministry of Education
Gmail yamnwseem@gmail.com

Keywords: Autobiographical Writing – Modern Criticism – Ḥamad al-Jāsir

Summary:

Literary autobiography is a genre constructed upon essential artistic elements, as are other literary forms. Central among these elements are luminous language, formative imagination, and candid self-disclosure. The fundamental aim of autobiography, in this sense, is to present its author in direct confrontation with life, openly articulating the impulses that stirred within, and revealing thoughts, emotions, and stances as they unfolded.

The significance of this study lies in the convergence of rare and valuable qualities embodied in Min Sawāniḥ al-Dhikrāyāt by Ḥamad al-Jāsir, foremost among them the author's advanced age, vast knowledge, literary accomplishment, and his profound role in the events of his era and homeland. Ḥamad al-Jāsir lived for nearly ninety years and was honored with the title "The Scholar of the Arabian Peninsula." This long life was rich and abundant in experience, encompassing travel, desert and urban life alike, and accompanied by emotions of joy and hardship.

Fate placed al-Jāsir at the heart of the major events of his time, supported by a distinctive and powerfully structured personality, along with a clear and expressive style in writing and composition. The findings of the study reveal, at their core, al-Jāsir's deep-rooted and pervasive grounding in Islamic law and its upright methodology. Alongside this foundation lies a heart pulsating with human belonging—one that responds intensely when harm befalls him or his fellow

human beings. His attachment to memory remained vibrantly alive; it was never replaced by a detached or cold acknowledgment of roles played, struggles endured, or pleasures experienced throughout the stages of his life. A pronounced emphasis on emotional sensitivity emerges as a truth that cannot be overlooked. This sensitivity possessed more than one dimension: while al-Jāsir perceived it at times as a form of weakness, it nonetheless functioned—despite its frailty—as an element he skillfully refined, directed, and elevated in value. He succeeded in employing it to activate and energize his creative power, thereby contributing significantly to his literary productivity.